**القصة القصيرة**

من أعظم كتاب القصة القصيرة، الأمريكي إدغار ألان بوEdgar Allan Poe

و قد قال عنها: " إن القصة القصيرة بحق تختلف بصفة أساسية عن القصة الطويلة (أو الرواية) بوحدة الانطباع (impression). و يمكن أن نلاحظ بهذه المناسبة أن القصة القصيرة غالبا ما تحقق الوحدات الثلاث التي عرفتها المسرحية الفرنسية الكلاسيكية، فهي تمثل حدثا واحدا يقع في وقت واحد. و تتناول القصة القصيرة شخصية مفردة أو حادثة مفردة أو عاطفة، أو مجموعة من العواطف التي أثارها موقف مفرد".

و في هذه العبارة إيجاز لطبيعة القصة القصيرة لا إيجاز بعده، و لم يفت "بو" أن يتحدث عن حجم القصة القصيرة، فقد حدد ذلك بمقياس زمني حين قرر أنها "لا تتطلب أكثر من نصف ساعة إلى ساعة أو ساعتين لقراءتها قراءة دقيقة". و جميع النقاد يتفقون على المبادئ الأساسية التي وضعها "بو" للقصة القصيرة، و مع ذلك فإننا نجد من يختلف في مسألة التحديد الزمني، فمنهم من يحدد مدة قراءتها بين ربع ساعة و ثلثها، و هناك من ذهب إلى أن قراءتها تتم عموما في أقل من ساعة.

و ربما كان التحديد الزمني يتأثر بمدى سرعة القراءة، و لذلك كان من الأفضل تحديدها في المكان. يقول أحد النقاد: " إنني أوافق على أن الإنسان لا يستطيع أن يحدد بدقة طول القصة القصيرة، و لكنني أعتقد أن الغالب، أن أية قصة تقع في أقل من 500 كلمة، من الأفضل أن تسمى Sketch ، و أن أية قصة تقع في أكثر من1000 كلمة من الأفضل أن توصف بأنها قصيصة، و عندي أن القصة القصيرة بحق ينبغي أن تتراوح في الطول بين 1500 و10000 كلمة".

و مهما يكن، فإن هذا التحديد ليس غاية في حد ذاته، و لكن مع ذلك مهم لما يترتب عليه، لأن الحيز الضيق يؤثر في اختيار الموضوع و طريقة السرد، و بناء الأحداث و الصياغة اللفظية، و كذلك في الصورة العامة للعمل الأدبي. و هنا لا يجب أن يلتبس تلخيص الرواية الطويلة في صفحات قصيرة بالقصة القصيرة، و الفرق بينها هو الفرق بين الموضوع الحي المعروض في صورة عضوية متفاعلة الأجزاء، مكتملة العناصر، و الموضوع الجامد الذي يغلب عليه طابع التجريد و التلخيص. فالقصة القصيرة من الممكن أن تجتاز بالقارئ فترة زمنية طويلة، كما تصنع الرواية، و لكن يحدث الفرق هنا في طريقة العرض. فالتفصيلات و الجزئيات التي تملأ كل يوم و كل ساعة في تلك الفترة الزمنية لا حاجة لكاتب القصة بها، بل إنه يجتاز كل شيئ لينتقل مباشرة من لمسة من لمساته للموضوع إلى أخرى. مجتازا بذلك من الزمن فترة قد تطول و قد تقصر. فطريقة العلاج ترتبط ارتباطا حيا بالموضوع، و هذا ـ من جهة أخرى ـ فرق جوهري بين القصة القصيرة و الرواية. فلينتقل كاتب القصة القصيرة في الزمن كيف يشاء، وليجتز الشهور و السنين، و لكن الذي يجعل عمله قصة قصيرة ـ برغم ذلك ـ هو الوحدة الزمنية التي تتمثل في القصة. فلابد في القصة القصيرة من هذه الوحدة الزمنية التي تربط بين لمساته المتباعدة في الزمان. و هذا طبيعي إذا عرفنا أن القصة القصيرة في عمومها لا تتجاوز الفكرة الواحدة، فيكفي كاتب القصة القصيرة الناجحة أن يصور هذه الفكرة أو تلك في قصته، لا مجموعة من الأفكار، مهما يكن بينها من ارتباط، كما هو الحال في القصة الطويلة.

و ما يقال عن الزمان، يقال عن الشخصيات، فالقصة القصيرة تفضل أقل عدد ممكن من الشخصيات، خلافا للرواية حيث يكثر الأشخاص. فليس في القصة القصيرة فرصة لرسم هذا العدد الكبير من الشخصيات، لضيق الحيز من جهة، و لأن القصة ذاتها لم تنشأ لتحليل عدد كبير من الشخصيات من جهة أخرى، و مع ذلك فمن الممكن أن تكثر الشخصيات في القصة القصيرة، و لكنها لابد أن تكون في مجموعها وحدة، أي أن يجمعها غرض واحد، تماما كما تحدث "بو" عن العواطف الكثيرة التي قد تتضمنها القصة القصيرة، على أن تكون قد أثارها موقف واحد.

كل هذا يجعل صفة "التركيز" أساسية في القصة القصيرة، فهي أساسية في الموضوع، و في الحادثة، و طريقة سردها، أو في الموقف و طريقة تصويره أي في لغتها، و يبلغ التركيز حدا لا تستخدم فيه لفظة واحدة يمكن الاستغناء عنها، أو يمكن أن يستبدل بها غيرها. فكل لفظة تكون موحية، و يكون لها دورها، تماما كما هو الشأن في الشعر.

و من الصعب أن نجد تحديدا نهائيا لمنهج القصة القصيرة، برغم الاتفاق الذي يكاد ينعقد حول مجموعة من الأصول و الظواهر العامة التي تبرز في هذا الفن. فبرغم الإطار الضيق نسبيا، الذي تتحرك فيه القصة القصيرة، ما زال هناك تنوع ملحوظ في المناهج التي يتبعها كتاب هذا الفن. و كل من هؤلاء الكتاب إنما يصدر عن منهج خاص في تصوره لعوامل التأثير في القصة القصيرة و في الهدف منها، فهم ـ بمعنى آخر ـ يختلفون في المنهج من حيث الغاية و الوسيلة. المؤكد أن غاية الجميع هي أن يبدعوا عملا فنيا، فهم في ذلك متفقون لا محالة، و إنما نقصد بالغاية هنا، الغاية التي يحققها كل منهم بالنسبة إلى قارئه. فمن الكتاب من يحرص على أن يقول كل شيء للقارئ بالتفصيل، و ألا يترك شيئا يستكشفه بنفسه، أو يترك له فرصة استنباط شيء وراء المواقف و وراء الكلمات. و هذا النمط من الكتاب يعنى في الغالب بعنصر الحادثة في القصة التي يكتبها، و من ثم يركز الكاتب كل عنايته في سرد المواقف و العناية بالأسلوب. و قصص محمود تيمور القصيرة تمثل هذا النمط أحسن تمثيل.

و من الكتاب من يؤثر التركيز على الشخصية، يرسمها في دقة و أناة، و يجعلها المحور الذي تدور حوله كل الأحداث، و من ثم لا يرد من المواقف و الأحداث في القصة إلا ما يترجم الشخصية و يبرزها.

ثم هناك القصة القصيرة ذات الطابع الرومانسي. و في هذا النمط يركز الكاتب على عواطف الشخصية التي يصورها و كثيرا ما نجد الكاتب في هذه الحالة يرتاد الموضوعات التي تتيح له مستوى عال من العاطفة، و كثيرا ما يكون الموضوع ذا طابع مأساوي.

ثم هناك القصة القصيرة التي تهتم بالفكرة و هي نوعان: رمزية و أسطورية. و في هذا النمط يستغل الكاتب الرموز الشعبية و الأساطير الجاهزة في أن يضمنها وجهة نظر خاصة أو فكرة خاصة، و في هذه الحالة لا يأخذ الكاتب من الرمز و الأسطورة إلا الإطار العام.

ثم هناك كذلك القصة القصيرة الكاريكاتورية، و فيها يهتم الكاتب بالموقف و الشخصية معا، و لكنه يرسمها بطريقة الكاريكاتور، فيجرد الشخصية و الموقف من العناصر العادية، و لا يلتفت فيها إلا إلى البارز المميز ذي الدلالة الخاصة فيجسمه و يضخمه لكي يلفت النظر إليه، تماما كما يفعل رسام الكاريكاتور.